

قوة الإسلام الإيجابية في روحه وجوهره / ج2



«على عكس ما نجده في المعتقدات والتيارات الفكرية والفلسفية وغيرها التي تبيح لنفسها التورط في التجاهل والتعالم ونكران الحق وحب الـ بتشويه خلقه والإساءة إلى خلقه. قال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (الأنعام/ 21). وقال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا) (الكهف/ 57). وقال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ) (السجدة/ 22). وقال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (الصف/ 7).

إنَّ الإنسان لم يختر خلقه ووجوده ولا اسمه ولا المكان الذي وجد فيه ولا الذِّعم التي يُنعم بها ولا العديد من النعم التي تحل به وكلُّ ما هو خارج عن إرادته واختياره، ولم يختر مستقبله في الدنيا ولا مآله بعد الموت ولا هو على بيئته من ذلك، ينسى الماضي ويضعف أمام الحاضر ويعجز عن استشراف المستقبل ويجهل الغيب، أمام هذه الحال فالإنسان مفطور من فاطر السموات والأرض ببنية بشرية آدمية متفردة، عضوية ونفسية وعقلية واجتماعية، ماديّة وروحية، ليس كمثله شيء على وجه الأرض، قال تعالى: (ثُمَّ خَلَقْنَا النَّسُطْفَةَ عِلَاقَةً فَخَلَقْنَا الْعِلَاقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْعِظَامَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ هُوَ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (المؤمنون/ 14). وقال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) (التين/ 4). فبنية البشر تخرج إلى الحياة الدنيا أضعف كائن وبعد فترة تصير أقوى مخلوق كائنًا ما كان، لما نال الوجود الإنساني من التكريم والتفضيل داخل الكون اللامتناهي صغراءً وكبراءً وعظمة من العظيم في الذات والصفات والأفعال، قال تعالى: (اللَّهُ

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (الروم/ 54).

فالقائم بالربوبية والمتفرد بالإلوهية والجدير بالعبودية في منتهى إيجابياتها، فالعبودية في الإسلام إلزام وعهد مقطوع بين العبد وخالقه لا ينقضي، إنَّ روح الإسلام وجوهره وعلامته ومفتاحه شهادة "أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله"، إقرار بالتوحيد وتصديق برسالة خاتم الأنبياء والمرسلين حررًا الإنسان تمامًا من كلِّ مظاهر الرقِّ والاستعباد لطاغوت الإنسان والمادَّة والوهم، وإقرار الخضوع والخنوع عقديًّا وسلوكيًّا وحده، قال تعالى: (وَإِلَهِكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (البقرة/ 163). وقال تعالى: (قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللّٰهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَاكُمْ لَتَشْهَدُنَّ أَنَّ مَعَ اللّٰهِ إِلَهًا آخَرَ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بِرَبِّيَ مُّحْسِنٌ) (الأنعام/ 19). وقال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أُحَدِّثُ) (الكهف/ 110). وقال تعالى في حجة عبادته إلى شرعته ومنسكته: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلَيَّ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) (الحج/ 34). وقال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا لَهُ وَ يَلِ لِلَّهِ الْأَشْرَافُ) (فصلت/ 6). أمام الطبيعة التي استعبدت الإنسان ضعفاً ورغبةً ورهبةً على مرِّ التاريخ، وأمام استعباد الإنسان للإنسان، وأمام استعباد الهوى والخرافة والأسطورة والوهم الإنسان، قال تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) (الفرقان/ 43). وقال تعالى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللّٰهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) (المؤمنون/ 117). وقال تعالى: (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (الفصم/ 50).

جاءت شهادة التوحيد أحقَّ وأؤكد شهادات تحرير الإنسان، لأنَّ أفراد الله بالوحدانية والإلوهية والربوبية وتخصيصه بالعبودية والإخلاص له، يحرر المؤمن العابد ليس فقط من طاغوت البشر والحجر والوهم بل يمثل بحقَّ الإيمان بعقيدة والتدين بدين جعل الحرِّية والتحرُّر من حيث المبادئ والوسائل والسُّبُل والغايات معلِّمًا أساسياً يتصاعد في أرق الرقي العلمي والإيماني والحضاري تتميز به تعاليم القرآن الكريم، كتاب الإسلام معجزة الرسالة المحمّدية المحفوظ من كلِّ مكروه، قال تعالى: (إِنَّمَا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّمَا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر/ 9).

كما يمثل التحرير الإسلامي ركناً رئيسياً في رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين. قال تعالى: (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللّٰهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (المائدة/ 76). وقال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي كُنْتُ نَذِيرًا فِي شَكٍّ مِنْ رَبِّي فَلَا أَغْنِي عَنْكُمْ دُونََ اللّٰهِ وَلَكِنْ أَغْنِي عَنْكُمْ اللّٰهَ الَّذِي يَتَّوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَنْ كُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (يونس/ 104). وقال تعالى: (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ لَكُمُ إِلاَّ لِلّٰهِ أَمْرٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (يوسف/ 40). وقال تعالى: (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ مِنَ الذّٰلِمِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّٰهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِنَّ اللّٰهَ تَرْجِعُونَ) (العنكبوت/ 17).

الإسلام رباط بين المخلوق والخالق لا ينفك وعروة وثقى لا تنفصل، فلا سبيل إلى الردّة بمبرر حرّية

المعتقد، فيظلّ الإنسان مسلماً ويمسي كافراً، قال تعالى: (لا إكراهَ في الدينِ قَدَ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهِ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة/ 256). وقال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران/ 103). فلا سبيل مع الإسلام إلى الكفر أو الشرك أو النفاق والردة، لأنّ الرباط غليظ لا ينكسر. قال تعالى: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) (البقرة/ 89). وقال تعالى في الشرك: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (لقمان/ 13). وقال تعالى في النفاق: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْتُواكُم مِّنْ أَلْفِ مَوْجٍ وَبَيْنَهُمْ أَلْفُ عُرُوفٍ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (التوبة/ 67).

وما دام الخالق الرازق أوجد الإنسان بروح وبيد ليس للإنسان أثر في ذلك، وما دام للروح مغذياتها وللبدن مغذياته في وضع مركّب معقّد متكامل من صنع صانع فوق الإنسان وفوق العالم الذي يعيش فيه الإنسان، الصانع أدرى بمصنوعاته وبما تحتاجه فشرّع الشرائع لحكم يعلمها هو والراسخون في العلم، حكم جمعت بين المبدأ والمعاد، بين عالم الدنيا والعالم الآخر، بين المادّة والروح، بين الديني والديني، بين العبادة والمعاملة، بين الفرد والمجتمع، بين الأرض والسماء، بين الإنسان والسماء، بين الأعلى والأدنى، بين النص والواقع، بين جميع جوانب ومكونات حياة الإنسان في تناغم وانسجام وتكامل ووثام، المبتغى في ذلك تحقيق المشيئة الإلهية وتجسيدها على الأرض، وضمان الربوبية والإلهية والوحدانية والعبودية ☐ وحده بكامل إيجابيتها على نحو تتحقق فيه الإيجابية على العبد وعلى أقرانه وبيئته وعلى معبوده وهو حميد غني عن العالمين، لا تنفعه طاعة ولا تضرّه معصية. قال تعالى: (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ - وَإِنْ تَكَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ لَبَاسٌ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا) (النساء/ 131). وقال تعالى: (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (يونس/ 68). وقال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) (لقمان/ 12). قال تعالى: (إِنْ تَكَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَيَّ رَبُّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّ رَبَّهُ عَلِيمٌ بِيذَاتِ الصُّدُورِ) (الزمر/ 7).

الإيجابية الشعائرية في الإسلام تقتنر بالإيجابية الدينية والدينية عامّة، بل هي جزء منها، جزء من كلّ، وهي عدّة إيجابيات تراكمية نظرية وعملية بكثرة العبادات والمعاملات وسائر مبادرات المسلم طيلة حياته إلى غاية مماته، قال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْتُواكُم بِالْمَعْرُوفِ وَيُنذِرُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة/ 71). وقال تعالى: (لَئِنْ رَسَخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء/ 162). وقال تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْتُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنذِرُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ

فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (فاطر/ 43). وقال تعالى: (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) (الفتح/ 23). وقال تعالى: (صِيغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِيغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) (البقرة/ 138).

إنَّ أبرز ما في الفطرة الإنسانية توجُّهُ الإنسان الطبيعي الفطري نحو الخير ونفوره الفطري من الشرِّ، وفي هذا المنحى الطبيعي تقوم الإيجابية باعتبارها فطرة في الأساس والمنطلق والمنع والمسار والمصب، تجري الفطرة الإيجابية في الوجدان الإنساني وفي روحانيته، وتتجلَّى في السلوك وتتأكَّد في القرآن الكريم بياناً ووصفاً، فالإنسان يثني على أدائه الشعائر في العبادات وفي المعاملات ويطمئنُّ لذلك من خلال مونولوج ذاتي داخلي تحركه النفس المطمئنة، فينطلق محققاً فطرة التوحيد ومثبناً قطعاً وجزماً الوجدانية الإلهية والربوبية □ وحده دون غيره، وهو يذم ويقبح في شخصه ضمن محاورة داخلية تضطلع بها النفس اللاؤامة إهماله لواجباته نحو وجوده الفردي والاجتماعي والأُممي والإنساني، ونحو خالقه الذي بيده كلُّ شيء في عالم الحياة وفي عالم ما بعد الموت، وكذلك عند الضعف والزلل وارتكاب الجرائم عندما تتحرك النفس الأمارة بالسوء، إذ تنبيري الذات لنفسها فيطالها الندم واليكاء وتتجَّه صوب التوبة، وفي هذا أوبة إيجابية في اتِّجاه الإيجابية والخيرية والفاضلية التي هي فطرة الإنسان وليست دخيلة على الوجود الإنساني، ويستمر الصراع وتكون الغلبة دوماً عند ذي العقل الراجح والتربية السليمة والضمير الحيّ النبيل للإيجابية المؤدية إلى الاطمئنان للشعائر الإيجابية في العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق وسائر الآداب، الشعائر الإسلامية الدينية والدينية، المادِّية والروحية، الإيجابية التي تضمن التزوُّد بالرضا على الأنا الذي هو مفتاح الأمان والسكون والارتياح والطمأنينة في العالم الذاتي الفردي عند الخلوة وفي غيرها، وتُحقِّق هذه الشعائر شروط ولوازم الاستقامة في الفكر والاعتدال في السلوك وتؤسس للروابط الاجتماعية والإنسانية الإيجابية من تواصل وحوار وتعايش وتسامح تضمن التزوُّد بمستلزمات الرضا المتبادل بين الناس المبني على القناعة الذاتية بصدق النيَّة وصلابة الأساس وقوَّة المصدر وسلامة المنهج واستقامة النظر والعمل وعلو الهمة والشأن والمنزلة عند العليِّ القدير، من مميزات الإسلام ومن إيجابيته فيه العبادة والصلاة مثلاً، شعيرة إيجابية، وطلب العلم فريضة على المسلم والمسلمة وهو شعيرة إيجابية، وفلاحة الأرض ورعي الأنعام واستخراج النفط والمتاجرة به كلُّ هذا شعائر إيجابية تتساوى في خيريتها وإيجابيتها، ففي الإسلام الدِّين المعاملة، ولا رهبانية في الإسلام، والإسلام دين ودولة، هذه الإيجابية الفطرية في العبادة والمعاملة، في الدِّين والدنيا تقتضيها الحياة ويتطلبها التوازن المطلوب في الحياة، حيث لا قوامة للوجود الإنساني في الحياة في غياب الضروريات من أمن وغذاء وهواء وإيواء وكساء، ولا يستقر التواصل بين العبد وخالقه في غياب استقرار الوجود الإنساني، فالقوامة الإيمانية التعبدية تشترط القوامة الوجودية الحسية والاجتماعية الإنسانية، والقوامة الوجودية الإنسانية تشترط الحركة الفكرية بحثاً وعلماً وثقافةً والحركة المادِّية تغييراً وإنتاجاً وصناعةً وتأثيراً في الطبيعة الخارجية استغلالاً واستثماراً لثرواتها في خدمة مصالح الإنسان، كلُّ هذا في إطار الحراك الإنساني الفردي والاجتماعي نحو الإقلاع والاستئناف الحضاريين بعيداً عن السكون والضعف والتخلُّف والانحطاط، وهي مظاهر السلبية التي تتنافى مع الإيجابية الإسلامية في العقيدة والشريعة والأخلاق والآداب وفي سائر جوانب الحياة. قال تعالى: (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْمُنْكَرُ لَا يَعْلَمُونَ) (العنكبوت/ 45). وقال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم/ 30). وقال تعالى: (الَّذِينَ إِذَا مَكَرْتُمْ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحج/ 41). وقال تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الأنبياء/ 105).

فالسعي الإنساني على الأرض حقيق بإيجابية أودعها □ في الإنسان روحاً وعقلاً واجتماعاً ومادَّة في كيانه المتفرد وفي محيطه، بها اضطلع بمهام التسخير والتحويل والاستغلال، فأنشأ عالماً من الأفكار والأشياء أضافه إلى عالم الطبيعة هو عالم الإبداع والثقافة والحضارة. تمثِّل الحركة في الفكر والسلوك في التوجُّه إلى الدنيا أو في الاتِّجاه صوب العالم الآخر أصلاً ثابتاً وراسخاً من أصول

الإيجابية، حركة الذات شعوراً وفكراً وسلوكاً عاماً، وحركة الوجود الطبيعي استغلالاً واستثماراً وتسخييراً، وحركة الوجود الإنساني الاجتماعي والفردى اجتهاداً وتغييراً وتوازناً وحضارةً، وكلّ هذا يجري في إطار السنن الكونية الإلهية يتوق إلى الالتحام بها ويعمل على موائمتها ويسعى إلى التمرّد عن كلّ ما لا يوافقها، لأنّ اعتبارها ضماناً للإيجابية الإيمانية وللإيجابية الشرعية وللإيجابية العقدية وللإيجابية الأخلاقية، وكلّ هذا مصدره الحركة الإيجابية العلوية التي أودعها الله في مخلوقاته. قال تعالى: (وَإِذْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الذِّكْرُ فَأَوْاكُمْ وَأَيِّدْكُمْ بِنُصْرِهِ وَرَزَقْكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (الأنفال/ 26). وقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُوكَ تَجْرِي فِيهَا فِي الْبِحَارِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) (الحج/ 65). وقال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبِحَارِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة/ 164). قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلُوكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبِحَارِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) (إبراهيم/ 32-33).

إنّ أصل الإيجابية الإسلامية الإيجابية العقدية الإيمانية الدينية الراسخة في الإسلام والراسخ فيها، إيجابية الفطرة وإيجابية التوحيد، إيجابية الوحدانية والإلهية والربوبية الله وحده، لا شريك له في الذات والصفات والأفعال، إيمان بعقائد مؤكدة عقلاً ومنطقاً وتاريخاً ووجوداً، تبعث على العلم واليقين لا على الشك والريبة، وعلى الاطمئنان والسكون لا على القلق والتوتر، وعلى الحركة والاجتهاد والإبداع، لا على الجمود والتقليد والاتباع، إيجابية منطلقها التوحيد، ولباسها التقوى، ومسارها الاجتهاد وبذل الوسع في الخير، وحُلُلها مكارم الأخلاق من تواد وتراحم وتعاطف وتعاون وتكافل وتضامن، ومنتهاها بلوغ الخلافة على الأرض كلّ في مستواه، وبلوغ الثبات على الحقّ والصدق مع الأنا ومع الغير، ونيل رضوان الله في الدنيا والآخرة والظفر بالإيجابية الإسلامية التي هي روح الإسلام وجوهره في العقائد والشرائع وسائر الآداب والأخلاق. قال سبحانه تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد/ 11). وقال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا لِعَمَلِهِمْ أَنْزَعَهُمْ عَنْهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأنفال/ 53). وقال تعالى: (وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى) (النجم/ 39-41).